

## السعودية ولعنة العراق!

رسم البريطانيون والفرنسيون خرائط تقاسم المنطقة العربية في معاهدة سايكس بيكو 1916. وقد تولوا بأنفسهم لاحقاً رسم الحدود التفصيلية بين الكيانات التي صارت من نصيب كل منهما.. لذا نجد أن القول الفصل في «مؤتمر العقير» 1922 هو في المحصلة للسربرسى كوكس ممثل الحكومة البريطانية في الخليج العربي وقتها. لقد خط حدود كيانات الإقليم بالقلم الأحمر على اللون الأصفر الذي يمثل رمال صحراء العرب وأماصارها. بما فيها المناطق الحدودية بين العراق والسعودية، وبين الكويت والسعودية، بحضور ممثلين عن سلطنة نجد والمملكة العراقية وإمارة الكويت!

### صراعات المنشأ

#### بين العراق والسعودية

قامت المملكة العراقية عام 1921، حين نُصّب الأمير فيصل الأول ملكاً على العراق بعدما طرده الفرنسيون من دمشق. وقتها كانت سلطنة نجد هي ما يحّد العراق من جهة شبه الجزيرة العربية، وهي بطور التمدد والتوسع. فكان عبد العزيز آل سعود يطالب ضمناً بوضع أراضي قبيلة شمر العراقية تحت حكمه كونهم بالأصل امتداداً لشمر حائل أيام إمارة آل الرشيد التي أسقطها آل سعود.. أو إعادتهم إلى داخل حدود سلطنته، وهذا ما كان يصعب تحقيقه عملياً. وقبل ذلك كانت غارات «إخوان الجهاد» على حواضر العراق وقبائله لا تنقطع، فالإخوان لا يعترفون بالحدود في غزواتهم لنشر سلطانهم وتعاليمهم بحد السيف، وكانوا لا يخفون عدم طاعتهم للتهدئة، برغم تحذيرات عبد العزيز على اعتبار أن للضرورة والدولة أحكاماً قد لا تتفق مع أحكام الجهاد والهجرة، خاصة وأن المنطقة يجمعها تحت حماية ووصاية البريطانيين الذين لا يمتنون شيئاً أكثر من التزدد على خطوطهم الحمر. وكان عبد العزيز استخدم طاقة الإخوان في احتلال الحجاز وطرده الشريف حسين منها وضماها إلى سلطانه، وبعدها استنصرهم في حرب اليمن ضد الأدرسة والإمامة واحتل نجران وجيزان، وبعدها أراد تقليم أظفارهم حتى لا يثيروا عليه، بأفعالهم المشينة، غضب القبائل التي يفرها والأهم، لا يثيروا غضب البريطانيين، الحكام الغليبين لكل كيانات الخليج من العراق إلى عمان، وبالتالي لا يتناولوا عليه وهو الذاهب للترويج ملكاً لبلاد مترامية، ولملكة من صميم وطائفها توفير الأمان لأهلها ولكل حجاج ومعتري الحرمين الشريفين. فكانت معركة «السبلة» التي انهزم فيها إخوان الجهاد أمام الحلف القبلي المشايخي السعودي عام 1929. وقتها كان ما يزال العدا العاشمي السعودي على أشده، بسبب استخوذ آل سعود على الحجاز دار أشرف بني هاشم، وبسبب توجس آل سعود

من حكم العاشميين لدولتين مجاورتين هما العراق بملكها فيصل بن الحسين شريف مكة النفي منها نتيجة سياسة الابتلاع السعودي، والأردن بملكها عبد لله بن الحسين.. وأيضاً بسبب الدور القيادي والطاقي لنوري السعيد، وهو كان أحد رواد الثورة العربية الكبرى وأحد النافذين من آل سعود، والعون المخلص للشريف حسين بعد أن ضاق ذرعا بالعثمانيين. وكان من أشد معاوني الملك فيصل في سوريا وشم العراق الذي صار داره المأمون، فهو المهندس الفعلي للسياسة العراقية المتصاحبة مع الهيمنة البريطانية منذ عام 1921 وحتى يوم 14 تموز/ يوليو 1958، حين قيام الجمهورية العراقية، بانقلاب عسكري مشهود غير ونور الدولة والجمتمع، وفتح الأبواب على مصراعها لتحوّلات دراماتيكية ومفارقات، أكثرها محزن وأقلها سعيد.

.. وهذا التشخيص لا يفتي النمط السعودي في تفاعله مع التغيرات، والذي اختار أن تكون أميركا مجنابة راعية ووصية وقدوة له (تفاهات)، عبد العزيز مع روزفلت 1945، على ظهر الدميرة الأمريكية كوينسي، بمثل ما كانت بريطانيا بالنسبة لنوري السعيد. هذا الأخير كان يعرف قدر جيرانه فكان يصغرهم لانزعاجهم وتحاسدهم، ويكبر في نفسه ولو استطاع ليجل من بغداد عاصمة الأمة من جديد، بالدعوة للعلال العربي من الكويت إلى العقبة أولاً، وبالاتحاد الخليبي ثانياً. وعندما ضاق الخناق راح يداعب الرؤيا

سمعان خوام - سوريا

بما تيسر له من الخطوات، فكان الاتحاد الهاشمي وحلف بغداد!

### الجمجمة والعقال

جمجمة بلا عقال وعقال بلا جمجمة، هذا هو حال العراق والسعودية طيلة فترة الشائنة، وطيلة الاحق من الفترات. فمتدما يكون العقال تشديد وتقييد وتلغيم للجمجمة، يزرعه العراق عنه ليجعلها حرة وثابة في سبيل أفق أكثر اتساعاً وكثافة. فكان «ناكراً للذات»، يقبل بالهاشميين ملوكاً عليه لأنهم أرادوا دولة عربية كبرى تنفض عن نفسها غبار التتريك. وكان يدعو إلى اللحة، فيقول بضم إمارات الساحل المتصالح إلى السعودية، وضم الكويت له، حتى يبيط مفعول الحراك الإيراني

### لم تكن الوهابية، كراية، صالحة فكرياً وممارسة لجذب محيطها، بل كانت نافرة معه بعسرها وقساوتها..

الطامع بتفريس الخليج كله، منكرأ عليه عربوته، مطالباً بضم البحرين وما حولها من جزر له. ولم تكن الوهابية كراية، صالحة فكرياً وممارسة لجذب محيطها والتماهي مع تطلعات جيرانها. العكس هو الصحيح: كانت نافرة بعسرها وقساوتها وقسريتها في مكان

1

البحث عن «يوكيمون» وسط خراب سوريا: ما تقوله الأنماط الاستهلاكية في ظل الحرب، والنمو السكاني في العراق منفلت من عقاله، بلا خطط لتنظيمه ولا لاستيعاب الأيدي العاملة الشابة: البؤس والهشاشة!

2

قانون الشغل الجديد في المغرب متساهل تجاه عمل القاصرات الشاق كما هناك تساهل تجاه زواجهن المبكر، والصراعات السياسية/الاثنية في اثيوبيا وأثرها على محيطها، وفي «بيتونة»: من يفجر مقاهي البصرة؟

3

بريد مؤجل لأسي: البعثيات المكافحات، وبأسف كلمة: فلسطين حرة برأي استكلندا، ومدونات من مصر والعراق، والمزيد على الموقع: تحية إلى حنظلة، واعتقال صحافيين في عُمان، والاقتصاد الفلسطيني مجدداً.

4



سمعان خوام - سوريا

اختفاء الحكم العاشمي من العراق بسبب العداوات الأنرية القديمة، وأيضاً لتقرّم الحكم الهاشمي في الأردن، وهذا ما يفسر عدم الاستجابة السعودية لتزويد الأردن بالوقود بعد انقضاغع من العراق، وكيف أن الأمريكان قاموا بالمهمة ومن نفض الظهران تحديداً دون موافقة السعودية.. وبين حرّنه وخشيته من انتشار عدوى الثورة إلى كيانات الخليج. وهو سرعان ما اغتبط بعد اشتغال الأزمة بين حكومتي قاسم وعبد الناصر، بسبب طرح قاسم موضوع المطالبة بالكويت بعد استقلالها عن بريطانيا 1961.

### الأقربون أولى.. بالخوف

قبل الحرب العراقية - الإيرانية، كانت صورة صدام حسين في عيون ملوك وأمراء آل سعود هي لرجل طموح مقلق. كان صدام في السبعينات يريد طمأنة السعودية سعياً منه لإحتواء مخاوفها، فهو يدرك أن نهجه بالتقارب مع الاتحاد السوفياتي والشيوعيين في الداخل ومعادته الصريحة لأمریکا وبريطانيا (بتميز لها عن فرنسا التي كان صدام صديقاً حميماً لرئيسها شيراك)، يجعلها توجس منه، حتى أنه قال في إحدى خطبه لو أن السوفيات احتلوا شبراً من السعودية فإن العراق سيكون أول من يقاتلهم، وهو يعني أن اتفاقية التعاون الاستراتيجي والسكوي مع الروس ليست ضدهم، وكانت مواقف صدام الصريحة ضدّ التمدد الإيراني في الخليج واضحة، فالعراق كان يحرض دول

عديداً حتماً لإيران وللنظام السوري، وتعاطفاً مع الإخوان، ومناهضة للسيسي... كما قد يكون عدم الاكتراث مرده إلى الاعتقاد على ارتكاب السلطة المصرية لكل الفواحش، وهي قناعة باتت متغلغلة في الأنفس: من التعاون الإستخباراتي الدائم مع إسرائيل، إلى إغراق أنفاق غزة بلبلاء معاونة لتل أيبب (بحجة «مكافحة الإرهاب» طبعاً)، إلى إغلاق حدود القطاع لأشهر، إلى بناء سور من جهة رفح ستستكمله إسرائيل يأخر من الشمال والغرب، لإحكام الخناق على هذا السجن الكبير.

### بعد الحرب مع إيران، كان يمكن للكويت والسعودية أن يتساوما مع صدام، لولا الدفع الأمريكي باتجاه التصلب..

بحار في طرقت إظهار الود. وقبل حينها أن وزارة الدفاع السعودية وزّعت عشرات الآلاف من صور صدام للامة ليرفعوها عند مرور موكبها. أيامها كان لحزب البعث فرع سعودي، وكان النظام العراقي يفضحه اليساري العلن، يستقطب بعض المعارضين السعوديين، ومتمم خبير النفط والروائي السعودي الفذ عبد الرحمن منيف الذي عمل كاستشار في مكتب الشؤون الاقتصادية التابع لمجلس قيادة الثورة، وقد استقال من وظيفته لإدراكه بأن أوضاع العراق ستتغير وسيكون صدام أكثر قرباً من السعودية وأكثر تفرداً بالحكم! بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران 1979، ومن ثم اندلاع الحرب بين البلدين 1980، تغير الوضع. فصدام صار الحاكم بأمرة في العراق، ولاحقاً أصبح فهد ملكاً، والأثنان في خندق واحد، كما يجد ذلك صدام على أقل تقدير،

لأنه يرى بـ «تصدير الثورة الإيرانية» شمول كل دول الخليج والشرق العربي برياحها. ومن هذا الباب إزداد التعاون الخليجي - العراقي، وخصوصاً السعودي - العراقي، وجرى دعم العراق مادياً ومعنوياً، بالفروض تارة وبالدعم اللوجستي تارة أخرى. وكان العراق يقول حينها بأنه يقاتل نيابة عن الأمة العربية وأن العراق هو حارس البوابة الشرقية لكل العرب. بعد انتهاء الحرب 1988 وخروج العراق مخنثاً بالجراح على الرغم من تظاهره بالانتصار، وبأن إيران تجرعت كأس السم، عادت الخشية وأجواء الخوف والهواجس المدعومة بتسريبات أمريكية، وتحريضات لعدم مطاوعة صدام ومساعدته على تجاوز أزمته الاقتصادية وعلى جدولة ديونه، بحجة مجهولية نوابها، وأنه يشكل تهديداً للسعودية ودول الخليج. ومع الانخفاض المريع لأسعار النفط (5 دولارات للبرميل)، ومع تعمد دول الخليج اتباع سياسة إغراق السوق، إزدادت حدة التوترات بين العراق والسعودية، إزدادت، وقبلها نجح صدام في استقارة مخاوف الكويت والسعودية، وبالتالي إمكانية استجابتهم لطلباته المحددة بالدعم المالي واللوجستي المتعلق بإعادة العراق جزيرتي وربة وبوبيان، وربما تبني المشروع النووي الذي سيشكل سلاح ردع بوجه التجاوزات الإيرانية أو الإسرائيلية. لذلك كان انبثاق «مجلس التعاون العربي» المكون من العراق ومصر والأردن واليمن ومنظمة التحرير 1989. وايضا انبثاق الوحدة اليمنية في 22 أيار/ مايو 1990، حيث كان لنقل العراق وزخمه دور قيادي في تلك المجرىات، مما يعني أن الكويت والسعودية كان يمكن أن يتساوما مع صدام لولا الدفع الأمريكي باتجاه التصلب بل والمطالبة باسترداد القروض. ثم حدث ما حدث بعد ذلك، من عملية احتلال الكويت في 20 آب / أغسطس 1990. ثم حرب الخليج الثانية التي استنزفت كل دول الخليج وعرضت مدخراتها للخوا، وكان المستفيد الأول والأخير هم أصحاب نظرية الحروب مزدوجة الأهداف والنتائج، والحروب بالوكالة، أمريكا وإسرائيل، أما الخاسر الأكبر فشعوب المنطقة وفي مقدمتهم الشعب العراقي. مرت حرب الخليج الثانية وحوصر العراق لأكثر من عقد من الزمن، ومع ذلك بقي متماسكاً بوجه المخاطر.. لكن قصر نظر قادة الخليج وتحديداً آل سعود، جعلهم يعضون أصابع الندم عندما جندوا أرضهم وأموالهم وسلاحهم تحت قيادة أمريكا ومن خلفها لاحتلال العراق وتحطيم دولته!

### انقلاب السحر على الساحر

فتحت السعودية والكويت أرضها وسماءها وبحرها لجيوش الغزاة لاحتلال بلد عربي مسلم. احتلال وتدمير جمجمة العرب خدمة لأعدائهم.. احتل العراق عام 2003، وقتل مئات الآلاف من شعبه وتهجر وتوق وتربل وتيتم الملايين من أهله، ودمرت ثرواته وبيئته التحتية.. وظهر زيف شعارات وادعاءات آل سعود جليلة للسعوديين قبل غيرهم وتحولوا بنظرهم إلى شياطين. فظهر التطرف بأبشع صورته كرد فعل بالضد من حكم آل سعود، بل وبالضد من كل المتواطئين معهم، وصار اليأس العنيف عبثاً، لا يدين بشيء، نقمة عمياء، وبعد أن قهل الأمريكان وحجافل حلفائهم ما فعلوا بالعراق، وبعد أن صارت إيران تتقاسم الهيمنة عليه، يصرخ عادل جبير وفامرالسبهان كما صرخ

من قبلهم وزير الخارجية سعود الفيصل قاتلاً: لماذا تهدي أمريكا العراق إلى إيران على طبق من ذهب؟ هل يصرخون فعلاً خوفاً على العراق وشعبه من أطاع المحتلين، أم خشية على أنفسهم. لقد وصل الأمر إلى بناء سور مزدوج على طول الحدود العراقية - السعودية. ورغم ذلك، فإن قذيفة هاون واحدة يطلقها أحدهم على مخفر سعودي حدودي يجعلهم يترحلون على صدام، ويمجرد رشقة واحدة بالصواريخ تجعلهم يلعبون الساعة التي جعلتهم أسرى.. على الرغم مما بذلوا وسفحوا من المليارات!

### جمال محمد تقى

باحث من العراق مختص بشؤون الخليج العربي

## قال.. لم يقل

العربية والإسرائيلية، وهذه الأخيرة خصوصاً وبكثافة، فقد يكون مزعجاً لتماسك خطابها الأيديولوجي أن يوجد عربي «طيّب».. وبقية القول لدى غولدا مائير كما اشتهر في حينه. وهو لو قال أم لم يقل: سيان!

بداية، فإن عدم الاكتراث ذلك يمكن أن يكون مؤشراً على أشياء كثيرة، كالشبهة وقلة الصدفية اللتين تحيطان بوسائل الإعلام القطرية، لجهة الغرضية العالية في كل ما تنشر، والزاوية المتوتبة التي تعتمدها، بما في ذلك، بل على رأسه ربما، ما يبدو وكأنه تعاطف مع داعش، كرهاً ربما بالشيعة عموماً (أنظر كيفية عرض أخبار العراق مثلاً،

سؤال أحد الطلبة حول الموضوع، فاتخذ رداء البروفيسور الشارح علمياً للأشياء: دقة التعريفات والتوافق الدولي عليها والفارق بين السياسة والقانون.. ولأنه كان قد ذهب في زيارة ودية لإسرائيل منذ أربعين يوماً، وحضر هناك في أسبعية لطيفة إختتام مجاريات كرة القدم الأوروبية (البرو) مع تخبها، ف «صوفته حمراء» كما يُقال. ولو أنه مذآك لم يتوقف عن التأكيد على أنه يطبق فحسب سياسات وأوامر رئيسه، صاحب مقولة «السلام الدافئ» مع إسرائيل: طبعاً!

### نهلة الشهال

باحث من العراق مختص بشؤون الخليج العربي

## البحث عن «بوكيمون» في سوريا



خالد عقيل - سوريا

تفتعل الحياة، بمعناها الطقسي، غياباً حسيّاً عن معظم أجزاء سوريا حيث جهات قتال لا تنقطع عن الطحن تدور في مكانها ولا تهدأ. هناك يجازف الموت بالتمدد اليومي، ويصير الصراع مُتجزأً واقعيّاً قائماً بمرده، يعجز الناس عن نفيه. آخرون يعيشون حيث يسيطر النظام القائم، في العاصمة وداخل مدن الساحل وفي الجنوب، ويتوقعون أن تجلبهم الحياة أكثر من سواهم، فيتحققون أحياناً من غل الموت ومن عناده. لكن حياتهم تلك تتعلّق بأنماط استهلاكية تبدو دخيلاً على هذيانات الحرب القائمة. يتوسع منطقت الاستهلاك هناك فيصير الحياة برمتها. مناطق عديدة تقع خارج هواجس الحرب ومزاجها المتكدر، صارت منقاداً إلى صنوف استهلاكية من أنماط العيش. يقدون فيها ما هو سائد من «موضات» في دول أخرى، فيبدون وكأنهم أقل شبيهاً بظرفهم الموضوعي.

### ديباجات من حادثة الشكل والمظهر

ترحف موضة سراويل الجينز المرّقة إلى داخل «المناطق الآمنة»، لا يسمع الناس هناك اقتصاص صوت المدفعية من حواسهم، ولا يُغيّر الطيران الحربي على مناماتهم، ولم يستيقظ الجوع على أفواههم بعد، ولم تتختر محتويات صناديق الإغاثة الدولية في أمعائهم. تستهتر تلك «الموضة» بجمري الحرب كاملاً، ولا أحد يسأل عن جدوى تبيذير القطع الأجنبي على استيرادها، أو عن أسباب تصنيعها محلياً في معامل مرهقة بكلف إنتاج مرتفعة، وماذا يجني الشباب من ارتدائها إذا...

في شهر أيار / مايو من العام الماضي، احتدم جدل قاس بين غرفتي صناعة وتجارة دمشق حول منع استيراد الألبسة الجاهزة، أو تقنين استيرادها على الأقل حماية للمعامل المحلية. حينها كشفت غرفة صناعة دمشق أن 70 في المئة من الملابس التي تصطف على واجهات المحلات السورية مصدرها تركيا والصين، ما يعني أن نصيب سلعة كعالمية كاللبس الجاهز يبدو سخياً، والبلاد تكاد ما تكايده منذ سنوات.

أيضاً يحتمي الكثيرون بأشكال تراعي حرفيّة مستجدات «الموضة» العالمية، تسريحات شعر حديثة تسيطر على كامل مساحة الرأس، ولحي طويلة تشدّها صالونات الحلاقة بالهواء الحار وبالفتنات القوية فتلتصق بالوجه طويلاً، يصيرون أكثر شبيهاً بلاعب كرة قدم عالمين، أو بممثلين أجانب ذاتي الصيت، يلاحقون مستجدات تسريحات الشعر على الانترنت، ولا يلاحقون المصير السياسي المتأرجح لبلادهم، كما لو أنهم في دنيا، والحرب في دنيا أخرى. بماذا يفكرون وهم يطلبون شفاعة هذا النمط الاستهلاكي أو سواه؟ هل هم يتحليلون على الخواء الموضوعي بالتحليل عليه؟

ليس عسيراً إذاً أن يتربّب الاستهلاك مباشرة داخل منظومة الوعي الفردي، فيصير مثل خصال تشير إلى أوصاف صاحبها، ثم تدعي لباس على الواقع القائم، والسلطة تستسيغ تثبيت الاستهلاك كقيمة مطلقة داخل المناطق التي تسيطر عليها، تريد معه تثبيت مصطلح «الأزمة»، وكان الصراع الدائر في سوريا مجرد «أزمة» طارئة قد تزول في أية لحظة. وهذا يشبه ترخيصاً مفتوح الصلاحية، يستبدل حاجات الناس الأساسية برفوف منضّدة بعضها فوق بعض في المقننات الاستهلاكية الراوغة لحقيقة مصير البلاد العالق بين فوكو المصالح الدولية النزاعمة حوله.

بهذا تصير كلفة مراوغة الواقع ممكنة، ليس لأن استهلاك الموضة كسلعة فيه تأكيد إضافي على حضور الذات الفرديّة داخل الذات الجمعيّة، بل لأن هذا الحضور يعي فكره الحرب القائمة من بعض مهامها في إدارة الوعي المجتمعي بالصورة المثلى.

### حِقنة تكنولوجياية مرّة كل يوم

يصطفي الناس من بين استهلاك السلع التكنولوجيّة تلك التي تخصّ خدمات الاتصال بصورة رئيسية، يغمسون في ساعات ما بعد الظهر بتطبيقات مثل

«الواتس أب» و«الفايبر» و«الفيس بوك»، يصير الحديث بواسطتها قيمة استهلاكية لا ينفخ تركها. اعتاد الناس خارج أحمال المارك أن يبتوا مشاعرهم عبر الأثير اللامرئي، يخاطبون بعضهم برسائل طويلة، ويتحدثون مطولاً مع ذويهم في الخارج. يبقون ملتصقين بشاشات جوالاتهم المشيئة أغلب الوقت، فيصمر الحرب من حولهم، يرددون في سرهم: «هي أزمة وتنتهي»، لكن الحرب العالقة خارج حدود انتباههم تتوسع، تمس يقينهم الواهي وتكمل طريقها إلى حيث مخطط لها أن تمضي. ثم يمتعض الناس داخل مناطق السلطة من انقطاع مفاجئ لخدمات الإنترنت (يحدث هذا من حين إلى آخر)، يشعرون فوراً بفقدان قاسي لنمط استهلاكي باتوا من مكوّناته الأساسية. لكنهم سرعان ما يستردون عافيتهم بمجرد عودة الخدمة، زاهم يندسجون بين الكلمات التي يحشونها في رسائلهم القفضافة، أو التي تتسرب إلى أصواتهم الحذرة خلال محادثاتهم مع البعيدين. والسلطة طارعت ذلك السلوك، فاجتهدت خلال العامين الماضيين على توسيع نطاق خدمات الانترنت، وزيادة تعداد المشتركين به، إذ أعلن مدير التسويق في الشركة السورية للاتصالات خلال شهر آذار/ مارس من العام الماضي أن الشركة زادت الحزمة الدولية لشبكة الإنترنت بنسبة 20 في

المئة، وصرّح حينها عن نيّة الشركة تركيب 200 ألف بوابة ADSL جديدة، وقدر العدد الإجمالي لمشتركي الإنترنت في سوريا بنحو 525 ألف مشترك.

حتى أن اللعبة العالمية ذاتمة الصيت «البحث عن بوكيمون» صارت من بين مقتنيات معظم الأجهزة الخلوية. يزحف المنبهرون بها كل مساء، يبحثون عن «بوكيمون» جديد لتلقطه كاميرا جوالهم الحديث، ينتشرون في الحدائق العامة، وفي الشوارع الفرعية الصيقة بها، وأحياناً يسكرون بين السيارات المصطفة بمحاذاة الأرصفة، يلاحقون كائنات غير مرئية، لا أحد يراها سواهم. ينفصلون عن الواقع بهذا القدار، وهم يتلهون عن حرب متسمة في مكانها منذ أعوام، تجاورهم سائبة ومستباحة تمضغها المصالح الدولية المتشابكة حولها بلا توقّف.

### الرحيل، ذلك النمط الاستهلاكي الهجين

يترك السوريون أنقاض منازلهم وروائح موتاهم العالقة في أوكسجين الهواء القريب منهم، ويرحلون على غير هدى. تفيض الجهات أمامهم وتتلوى، فيختارون أقلها كلفة وأقصرها، لكنهم يصلون منتهكين إلى دول اللجوء في الاتحاد الأوروبي، فيبدون محقين في خيارهم ذلك، إذ لم يعد لديهم ما يستحق

البكاء في بلادهم.

غير أن دروب الهجرة تلك صارت سلوكاً استهلاكياً، ونمط تفكير شائع في المناطق الآمنة، حيث لا يزال يسيطر النظام السوري، الكثيرون تعلقوا بذيول الفكرة، صاروا متحمسين لبدء حياة جديدة، في بلاد جديدة. ربما هم بدورهم كانوا عائمين مثل سيقان «بامبو» بلا جذور، لا يريدون بذل شيء لتغيير مكانة مخططات الواقع، سلموا به كحتمية لا تتزحزح ورحلوا، وكانوا يفكرون بالهجرة أكثر من تفكيرهم بعشيقاتهم أو حتى بأبنائهم أو بذويهم الرضى. فنك فرصة قد لا تتكرر، إذ يريدون من ورائها اشتقاق أوطان في البعيد، وترك بلادهم بلا جذران أو أسقف، كجغرافيا سائبة ومستباحة تمضغها المصالح الدولية المتشابكة حولها بلا توقّف.

لماذا لا يشعرون بأن هذه الحرب تستهدفهم ككيان جمعي، ولماذا يسارعون إلى رزم أمتعتهم القليلة، ويبادرون إلى طرد أنفسهم بقبلاّت فاترة يطرزونها فوق جباه الأمهات المسنّات؟ لهمم استخلصوا من بين أسنان الحرب وكلايتها الحادة بعضاً من سير الخلاص الفرديّة، فصاروا يقدّونها. وتلك تشبه علبه لحم معلب قد تنتهي صلاحيتها في أيّ وقت. صار الرحيل

إذا ثقافة استهلاكية تطلّ من بين الأفكار المتخاصمة حول تفسير الواقع، وطبيعة «المأزمة».

من بقي بلا جذر داخل «سوريا الآمنة»، اجتذبه حور رخيصة تصنعها معامل مرتجلة داخل ريف دمشق، أو في الجزء الموالي من حمص، ثم يُباع بأسعار متدنية، وكانها مسكنات طبية تبعيها الصيدليات المناوبة لعموم الناس.

مؤخراً تدخّل «الحشيش» في حياة الناس على نطاق واسع، وكانه ضمام آمن لإيقاف الأفكار النازفة، يدخنه المدعّون إلى اعراض صاخبة يستضيفها آخر فصل الصيف الحالي، ويدخنها شباب سنّاً في العمر باتوا لا يمانعون من تجربتها، وكانها فعل يتحمّ عليهم تجربيه. وحين نمّر من بين أوصال الناس المتقطعة في نطاق المناطق التي استبعدتها الحرب الراهنة من نفوذها الواسع، نسمع من يصرخ من قلبه: «وجدت بوكيمون»، فالبوكيمون موجود في سوريا إذاً، وجميع من بقي فيها يبحث عنه!

### أيمن الشوفي

صحافي من سوريا

## النمو السكاني في العراق: شباب وهشاشة

بؤس التعليم التي مرّ بها الجيل الذي سبقها، وهو القطاع الذي يعاني نقصاً يقدر بتسعة آلاف مدرسة، فضلاً عن نقص الأساتذة وعدم كفاءة الكثير منهم. وإذا الأحزاب السياسية المسكدة بزمام السلطة قد فشلت بإنشاء البنية التحتية، من مستشفيات ومدارس وجامعات وخدمات مثل الكهرباء والصرف الصحي والطرق والجسور والسكن اللائق - وهي التي تعدّ أهم المراحل التي يجب أن تتساقط مع ارتفاع النمو السكاني - بسبب نهب أموالها، وتحويلها إلى مشاريع «فضائية» (وهيئة) لا تتعدّى حدود التعاقفات، فإن الأزمة الغذائيّة والبيئية التي تواجه النمو السكاني تبدو أكثر عمقاً. فبالرغم من امتلاك العراق نهرين هما دجلة والفرات علاوة على مساحة أرض تقدر بحوالي 48 مليون متر صالحة للزراعة، فإن 60 - 70 في المئة من استهلاك العراقيين للخضار يستورد من الدول المجاورة. والاعتماد على الاستيراد، علاوة على غياب اتفاقيات مائية (النهران مهددان بانخفاض مناسيب المياه بشكل مرعب)، وخطط لتنمية الزراعة، يحدّد 97 في المئة من الأراضي العراقية بالتصحر.

### عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق

أما اجتماعياً فلا يبدو الحلّ يسيراً، في ظل اشتغال المجتمع بقضية العنوسة عوضاً عن التفاتته إلى الأزمت المتفاقمة في ظل النمو المتزايد. إذ رأى كثر أن من شأن الإحصائية الأخيرة والتي تشير إلى ارتفاع نسبة جرت نكاحات عديدة بشأنها (صدّقها الكثير من الرجال والنساء، من بينها إصدار قانون يجبر الرجل على جمع امرأتين!

علاوة على كل هذا، فليس هناك خطط، سواء حكومية أو غيرها، لحث العراقيين على تحديد النسل، لكون هذا الأمر يتناقض مع «الشرع» الذي يستلّه رجال دين ويعيدون تفسيره في كل مناسبة ليزيدوا من تجهيل المجتمع والسيطرة عليه بقوة الخطاب. وهناك أيضاً الأعراف العشائرية التي تشجع على إنجاب المزيد من الأبناء لتحظى العشائر بعدد كبير يؤهلها لتكون قوة ضاربة مقابل العشائر الأخرى. وهاتان المنظومتان، الشرعية والعرفية، تستغلها أحزاب الإسلام السياسي كحائط صدّ نتجة لتفوق فسادها وثرانها وفشلها. والمنظومتان، مرة أخرى، تشكلان رافعة تلك الأحزاب للصعود إلى السلطة في كل انتخابات.

### نظام «العشائرية»

كيف سينجو العراقيون من بؤس ينتظرهم في السنوات أو العقود المقبلة؟ البؤس قائم اليوم على أية حال. فوسط الوفرة المالية التي حققها ويحققها النفط، تصف الأمم المتحدة الأمن الغذائي في العراق بـ «العشائرية»، حيث يعاني حوالي 5.7 في المئة من سكان العراق من الحرمان من الغذاء، يُضاف إليهم 4 ملايين عراقي آخرين معرضين لانعدام الأمن الغذائي. أما الأطفال فقد زادت هشاشتهم إذ يعاني 8.5 في المئة ممن هم تحت سن الخامسة من نقص الوزن، وأيضاً كل أربعة أطفال من توقف النمو البدني والفكري بسبب نقص التغذية المزمن. وفئة الأطفال هذه، التي يجب أن تعدّ لسوق العمل خلال ما يربو عن العقد، عليها أن تمرّ بمراحل

اليوم، ومع بلوغ 36 مليون نسمة في آخر إحصائية صادرة عن وزارة التخطيط الشهر الثالث، نتيجة استمرار السياسة ذاتها (أو بالأحرى غياب سياسة تخطيط)، بل وعودة المجتمع إلى نظام ما قبل الدولة، فإن العراقيين سيبدأون مليون نسمة سنوياً. وتقدر الأمم المتحدة أن يبلغوا في عام 2020 حوالي 42 مليون نسمة. وقد بدأ غياب سياسة تخطيط حكومية لمعالجة هذا الازدياد السكاني يظهر جلياً على أرض الواقع، خصوصاً في الحيزّ الديني، حيث بلغت نسبة السكان الحضر وفقاً لهذه الإحصائية 70 في المئة مقابل 30 في المئة للريف. هذا التباين أحال بغداد التي يقدر عدد سكانها بأكثر من 8 ملايين نسمة، إلى كتلة خرسانية، إذ ما فتئت تُرمد حدائق المنازل وتحلّ محلّها بيوتات صغيرة، كما زحف السكان على الأراضي الزراعية في أطراف العاصمة لتصبح وحدات سكنية عشوائية بعد أن عصفت بهم أزمة السكن. وتسيب كل هذا بانحسار المساحات الخضراء في العاصمة حيث بلغت حوالي 0.49 متراً مربعاً للفرد الواحد وفقاً لبحث أجرته جامعة بغداد.

### مجتمع فتي وانحدر اقتصادي واجتماعي

أما السمة الطاغية للمجتمع العراقي وفقاً لهذه الإحصائية فهي فتوّته وشدة ساعده، إذ بلغت شريحة من هم دون الخامسة حوالي 15 في المئة، ومن هم بعمر 5 - 14 سنة 25 في المئة، أما نسبة السكان في سن العمل أي من هم بين 15 - 64 سنة فهم الأغلبية ويشكلون 57 في المئة! الرقم الأخير تحديدياً، أي نسبة من هم أهل للعمل، بات موضع تغنّ لدى السياسيين في المؤتمرات الصحافية للتدليل على فتوة «مجتمعهم»، في وقت لا يذكر هؤلاء واقع البطالة البائس فيسكتون عن أرقامها ونسبها التي بلغت حوالي 28 في المئة. وهي نسبة مرشحة للتفاقم في ظل غياب أية خطط لحلّ فرض عمل وتنوع مصادر الدخل، بدلاً من الاعتماد الكلي على ريع النفط لتسيير الشؤون المالية للبلاد.

# جدل في المغرب حول قانون تشغيل القاصرات

تطلبت مناقشة القانون المنظم للعلاقات في مجال العمل بالمغرب قرابة عشرين سنة، لينتهي باعتماده سنة 2003 تحت اسم «مدونة الشغل». ما برر طول المدة هو الخلاف حول عدد من القضايا التي احتاجت إلى أخذ ورد وتفاوض بين الرفقاء الثلاثة: الحكومة (وزارة الشغل)، وأرباب العمل والنقابات. حسمت أمور خلافية عديدة، إلا أن هناك البعض منها مما تم تأجيل البت فيه إلى مرحلة أخرى، بالنظر لما يمثله من خصوصية. ومن تلك، على سبيل المثال، قضية تقنين أوضاع العمالة المنزلية (العمال والعملات بالمنازل) التي لم يكن ينظمها في السابق أي تشريع. أطلق على هذا القانون المقر أخيراً اسم «شروط الشغل والتشغيل بالنسبة للعمال المنزليين». وهو يعتبر إيجابياً في حد ذاته كتنفيذ للإلزام التشريعي ظل معلقاً منذ صدور مدونة الشغل، حيث هو يتوخى سد فراغ في مجال ظل لمدة طويلة خارج التأطير القانوني. إلا أن الحسم والبت النهائي أثار نقاشاً واسعاً وجدلاً كبيراً وموجة غضب واحتجاج من طرف الجمعيات المدنية والحقوقية العاملة في مجال حماية حقوق الإنسان عموماً وحقوق الطفل خاصة. ويتعلق الأمر خصوصاً بإحدى مواد هذا القانون التي شكّلت موضوع سجل كبير واحتجاج من طرف هيئات وطنية وحتى دولية (أممية).

**الإشكالية التي أثارَت السخط**

النقطة الأساسية التي أثارَت السخط وسط الفاعلين المدنيين هي تلك المتعلقة بتحديد سن العمل المنزلي، والتي يعود طرحها من طرف حكومة عبد الإله بنكيران إلى 13 أيار/ مايو 2013، والواردة في مشروع القانون رقم 19.12، وأساساً المادة السادسة منه التي تسمح بتشغيل الأطفال القاصرين، أي من هم دون سن 18 عاماً. إذ في الوقت الذي كان متوقفاً فيه أن يشكل القانون خطوة متقدمة في اتجاه حماية الطفولة والسعي لمحاربة ظاهرة تشغيل الأطفال من الجنسين، فهو كرسها وشرعنها قانونياً، منطلقاً من أن الظاهرة منتشرة انتشاراً كبيراً وسط المجتمع ويستحيل اجتنانها، خصوصاً أن الأُسر المغربية محتاجة إلى هذه العمالة. وفعلاً، تشير أرقام «المدونية الساسية للتخطيط» في بحث أجرته وطنياً عام 2014، إلى أن ظاهرة تشغيل الأطفال تعرف انتشاراً كبيراً في المغرب. يؤكد البحث أن حوالي 69 ألف طفل بين السن السابعة و15 سنة يشغلون منهم 61 ألف في الأرياف، وسمعة آلاف في المدن. ويضيف، أن 76 في المئة من الأطفال المُشغّلين لم يحصلوا على أية شهادة مدرسية، وأغلبهم يعمل في الأنشطة الفلاحية والحرف اليدوية والتجارة، وفي المنازل. يُضاف إلى ذلك أنّ الأرقام المذكورة تخص فقط العمال الأطفال المصروح بهم، دون احتساب القاصرين الذين يعملون لدى مشغليهم «سراً»، أو الذين يعملون لدى أسرهم في ما يعرف بـ «مساعدة رب العائلة» في العمل.

وتحليل تقارير أخرى إلى أن الرقم الحقيقي يفوق بكثير ما هو معترف به رسمياً، إذ يصل العدد إلى 600 ألف طفل، تتراوح أعمارهم بين السابعة و14 سنة. وتمثّل الفتيات نسبة 90 في المئة من الأطفال ضمن العمال المنزليين، الذين يخضعم القانون، حيث إن معظمهن ينحدرن من الأوساط القروية الفقيرة، وقدمن إلى المدن للعمل لدى الأسر المسبورة كخادمات بأجر متوسطه 9 دولّارات في الشهر، لمساعدة عائلتهن الفارقة في الفقر والعوز.

وإطلاقاً من دراسة حديثة لـ «منظمة العفو الدولية» شملت 400 أسرة بمناطق مختلفة من المغرب، فإن الفقر والهشاشة هما السمة الرئيسة لأسر الأطفال المشغّلين، إذ إن 21 في المئة من الأسر التي يفوق عدد أفرادها ستة أشخاص، لا يعتمد إيقافها الأسبوعي 20 دولاراً، أي تقريبا ثلاثة دولارات للفرد الواحد أسبوعياً، كما أن أكثر من 63 في المئة منهم ليست لديهم تغطية اجتماعية.

**ردود الفعل**

قوبلت المادة السادسة من هذا القانون بالرفض والإستياء من طرف



نور بهجت - سوريا

دون سن 18 سنة، كما نبّه إلى الواقع المسايوي للقاصرات المشتغلات في المنازل، واللواتي يتعرضن للعنف النفسي والجسدي في ظل غياب كلي لشروط الحماية. وهو الأمر الذي أكدته الحالات التي تفرّجت إعلامياً خلال السنوات الأخيرة، والتي أبانت باللموس هول المخاطر التي تتعرض لها الفتيات القاصرات العاملات في البيوت. وفي سابقة، شدّدت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) على الكف عن تشغيل الأطفال القاصرين، وطالبت بإلغاء المواد القانونيّة التي تسمح بتشغيلهم في العمل المنزلي في سن 16 سنة، ودعت إلى إلغاء الأحزاب، معتبراً أن العمل المنزلي يُعتبر عملاً خطيراً يجب منعه على من هم



دون سن 18 سنة، كما نبّه إلى الواقع المسايوي للقاصرات المشتغلات في المنازل، واللواتي يتعرضن للعنف النفسي والجسدي في ظل غياب كلي لشروط الحماية. وهو الأمر الذي أكدته الحالات التي تفرّجت إعلامياً خلال السنوات الأخيرة، والتي أبانت باللموس هول المخاطر التي تتعرض لها الفتيات القاصرات العاملات في البيوت.

وفي سابقة، شدّدت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) على الكف عن تشغيل الأطفال القاصرين، وطالبت بإلغاء المواد القانونيّة التي تسمح بتشغيلهم في العمل المنزلي في سن 16 سنة، ودعت إلى إلغاء

**338** مليون دولار قيمة الطائرات الخاصة الأربع التي اشترتها مصر من شركة «داسو» الفرنسية، لتجديد الأسطول الذي تستخدمه الحكومة المصرية، في وقت لجأت فيه مصر للاقتراض من صندوق النقد الدولي، بالتزامن مع خطاب السيسي الداعي إلى التقشف وشد الأحمزة في الأزمة الاقتصادية الراهنة..

المقتضيات العاكسة للمصلحة الفضلى لكل طفل، نظراً لأن عمله، في أي سن كانت، يخرمه من حقوقه في التربية والتعليم والحماية والإشراك والتنمية والصحة، كما يعرضه لمختلف أشكال الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية ومختلف أشكال الاستغلال. كما اعتبرت المنظمة الأممية، أن معظم معايير أسوأ أشكال عمالة الأطفال تنطبق على حالة الأطفال المشتغلين في البيوت، مشيرة إلى أن هذا الأخير يعرض الأطفال إلى تنفيذ «أشغال» من شأنها - اعتباراً لطبيعتها والظروف التي تزاوّل فيها - أن تضر بصحتهم وأمنهم وقيمهم الأخلاقية، أو تلك التي تتم في ظروف صعبة خاصة، خلال ساعات طويلة أو خلال الليل، أو حيث يتم الاحتفاظ بالطفل، بشكل غير مبرر، في مقار المشغل.

مقابل الرفض والاحتجاج اللذين عبّرت عنهما المنظمات العاملة في حقل الدفاع عن حقوق الطفل، دافعت حكومة بنكيران عن الترخيص والسماح بتشغيل الأطفال، ما بين 16 و18 سنة، مبررة ذلك بأنه جاء نتيجة إكراهات من قِبَل فقر بعض العائلات في القرى، التي لا تجد وسيلة لضمان قوتها غير إرسال أبنائها للعمل، ومؤكدة أن القانون سيضغ شروطاً معينة لمعاينة المشغل في حالة عدم التزامه بها، ومداخلة عن أن ضمان حماية الأطفال سينتم عبر اشتراط موافقة أولياء أمورهم، وهو الأمر الذي رفضته المنظمات الحقوقية على اعتبار صعوبة بل واستحالة تفيذه إجرائياً وعملياً.

**خلاصات**

تشغيل الأطفال عموماً، والطفلات دون سن 18 سنة خصوصاً، ظاهرة مستفحلة في المجتمع الغربي، لكن كان حرياً بالحكومة أن تتخذ الإجراءات اللازمة، بما في ذلك القانوني منها، وأن تحترم التزاماتها الدولية في مجال حماية الطفولة، والتقدم في القضاء على الظاهرة بدل شرعنتها.

غير أنه يبدو أن الأمر يتجاوز هذا النطاق، ويتعلق بالنظرة الشاملة لكل ما يهم المرأة ويخص المكانة التي تستحقها وتليق بها. فقد سبق للحكومة أن بنّيت من أكثر من مناسبة تشبّهاً بالتقسيم التقليدي للأدوار، وبرغبتها في المحافظة على الأمر الواقع، على حساب الاعتراف للمرأة بحقوقها كاملة، وتمكينها من التخلص من ثقل التقاليد التي تكبلها، ومن بين الأمثلة:

- زواج القاصرات الذي عرف تزايداً مخيّفاً، والتعهديد بمراجعة قانون الأسرة لخفض السن إلى 16 سنة بدل تدقيق القانون بالشكل الذي يضيّق من مساحة التأويل التي يخضّع لها.

- في مجال محاربة الفقر، اتخذت الحكومة قراراً بوضع صندوق لدعم النساء الأرامل في وضعية هشّة، كالحاضنات لأطفالهن اليتامى، وإحلاله في مكانة البرامج الهيكلية في إطار سياسة عمومية شاملة تنعكس إيجابياً على مختلف الشرائح الاجتماعية التي يمسهما الفقر والهشاشة. إلا أن المقاربة الإحسانية هي التي تحكمت في معالجة إشكالية محاربة الفقر، بدل المقاربة الحقوقية التي تنطلق من ضرورة تمكين المواطنين وتأهيلهم للانخراط والمشاركة الفعالة في سيرورة التنمية والاستفادة من ثمارها.

- محدودية بل غياب التدخل من أجل محاربة ترك المدارس المنتشر بحدة كبيرة في العالم القروي ووسط الفتيات خاصة. إذ على الرغم من الجهودات التي بذلت خلال العقود الأخيرة في مجال تعميم التعليم، لا زالت إشكالية التسرب المدرسي تلحق أضراراً كبيرة بالتنمية وتؤثر سلباً

على مستقبل من تمسهما الظاهرة، أي الفتيات القرويات.

هكذا يتجلى بيننا أن أقصى ما ينتظر الفتيات القرويات هو الزواج في سن مبكر أو الارتداء في أحضان العمالة المنزلية في ظروف وشروط حاملة بكرامتهن.. وهو ما تم تكديده بسلطة القانون!

#### لطيفة البوحسيني

أستاذة جامعية مختصة بقضايا النساء، من المغرب

وقد يكون نزوح عشرات الآلاف من الإثيوبيين المسلمين، في كل اتجاه سواءً إلى السودان غرباً أو كينيا جنوباً وحتى الصومال شرقاً، ونشاط الهجرة غير الشرعية باتجاه شبه الجزيرة العربية وأوروبا.. قد يكون كل ذلك دليلاً على تلك المخاوف وليس فحسب على عدم الرضا عن الوضع الاقتصادي المبني على المساعدات الغربية، وواقع الغلاء العيشي المتصاعد، وقلّة مصادر الدخل التي تضمن حياة كريمة، في ظل نظام ضريبي وجمركي يحد من نشاط الحركة الاقتصادية في البلاد.

**إثيوبيا، الاستثناء الإفريقي؟**

من الشائع القول أن إثيوبيا تشكل استثناءً في نظر القوى الغربية، ليس فقط على المستوى الإقليمي، بل على مستوى دول القارة الإفريقية المحيط الجغرافي القريب من القارة، نظراً لخصوصيتها الدينية والثقافية، وموقعها الجغرافي المتحكم في تدفق النيل، إضافة إلى دورها الحالي في الصومال، وكونها مقر منظمة الوحدة الإفريقية. كل تلك الميزات التي اجتمعت في الدولة الإثيوبية، تجعل من المستبعد أن تنجح المظاهرات والاحتجاجات في تحقيق أهدافها، مع عدم وجود أفق لنجاح أي تمرد مسلّح ضد النظام الحالي الذي يرأسه «هילה ماريام ديسالينغ»، ما لم يرتكب أخطاء جسيمة قد تهدد مصالح الأطراف الداعمة له اقتصادياً وسياسياً.

**محمود عبدي**

كاتب من الصومال

وإدارة البلاد، وانقلاب الآبة عليهم لصالح منافسيهم ال«تغري»، والشعور العام بالظلم وعدم الثقة، واستمرار الأمهرا في خسارة مراكز قوتهم الاقتصادية والسياسية لصالح القوميات الأخرى برعاية ال«تغري».. أدى لتعزيز مزخوفهم من تحوّلهم إلى «قومية همشية»، ولاسيما بعد وضع مناطق تاريخية للأمهرا تحت حكم إقليم «تغري»، وتراجع المكانة العالية لثقافتهم وانعاش ثقافات القوميات الأخرى. كل ذلك قاد إلى حالة من الإحباط واليأس بينهم، وقناعة لدى فئات كبيرة منهم بضرورة تثبيت الموقف المتذمّر والراض عن حالة التدهور التي تم إدخالهم فيها منذ بداية تسعينيات القرن العشرين.

**التوتّر الديني**

تمارس الحكومة الضغط على المسلمين في إثيوبيا (وهم من الطائفة السنية الشافعية التقليدية)، المستمرين بالاحتجاجات السلمية منذ سنة 2011، وقامت باعتقال العديد من قاداتهم، وإصدار أحكام طويلة بالسجن عليهم (بلغت حتى 22 سنة في ظلّ قانون الإرهاب) بهدف قمع ومقاومتهم لساعي الدولة في فرض سيطرة طائفة دينية جديدة قادمة من الشرق الأوسط، والمسماة بـ«الأحباش»، وتمكينها من العيّنات الإسلامية المرتبطة بالدولة، والمحكمة في الإفتاء والأوقاف والشعائر، بما خلق حالة من الانقسام التام بين المجتمع المسلم الذي يشكل ثلث السكان حسب التقدير الرسمي، ونصفه حسب تقديرات جهات تنفي دقة التقدير الحكومي (معتبرة إياه مسيئاً وسائراً ضمن سياسة التهميش القديمة الورثة من زمن الإقطاع والملكية).

# ما الذي يجري في إثيوبيا القريبة؟

صدر منذ أيام تحذيرٍ رسمي أميركي بتجنّب السفر إلى جمهورية إثيوبيا الفيدرالية، وتحديداً إلى مناطق معينة، مع بروز مخاوف من امتداد الاحتجاجات إلى العاصمة أديس أبابا، وذلك بعد سقوط عشرات القتلى ومئات الجرحى في البلاد على يد الشرطة أثناء قمعها للمتظاهرين (في 7 آب/ أغسطس). تتركز الاضطرابات في المناطق الرئيسية لقوميتي «أورومو» (وأغلبهم من المسلمين) و«الأمهرة» (وهم الأرستقراطية الإثيوبية، وأغلبهم من المسيحيين). وثمة تقارير تتحدث عن انتقال عائلات من قومية «تغري» من العاصمة إلى مناطقهم التقليدية في إقليم «تغري»، تحسباً لحدوث عنف إثني انتقامي من قبل القوميتين المحتجتين، رداً على التعسف الذي يمارسه جهاز الأمن الذي يمسك بزمامه عناصر من قومية «تغري».

**المشكل الأورومي**

التوسع الحيشي في العهد الملكي مطلع القرن العشرين، على حساب القوميات الكوشية والنبلية والأوموتية، أوجد حالة فسيفسائية إثنية في ظل حكم واحد، لما أصبح فيما بعد مملكة إثيوبيا، وما تلاها من قيام الجمهورية في منتصف السبعينات من القرن الماضي. وفي بلد عماده النشاط الزراعي، فقد بقيت نظم الحكم المتتالية قائمة على تحقيق الثروة من خلال استغلال أبناء قومية «أورومو» في الأعمال الزراعية الشاقة، حارمة إياهم من فرص الحصول على التعليم، أو ارتقاء المتعلمين منهم لمنصب تلامذ مع مؤهلاتهم. وقد حدثت تغييرات طفيفة في هذا المجال بعد تخصيص منصب رئاسة الجمهورية الشرقي لقومية «أورومو»

## من ذا يفجّر برحية!

تبدو سلسلة تفجيرات القاهي في البصرة حدثاً له صلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! هكذا تظهر الصورة الافتراضية رقم 1: فتيات يعملن في مقاه يرتادها الرجال. أو رجال يرتادون مقاهي تعمل فيها النساء كنادلات!

تقول الصورة المقربة رقم 2: هذه الـ«كافيهات» هي ملمح اجتماعي وترفيهي توفره المدينة المغلوبة على بهجتها بديلاً انتروبولوجيا عن تاريخها الطويل المرتبط بالإمتاع والسمر والطرب والانفتاح، كمدينة ساحلية ذات تنوع ثقافي وجغرافيات متعددة وأرشيف لا حصر له من الجدل العلقاني والإفتتان بالحوار والحكي وفن القص و«الفصّخونيات» (الحكايات). ولا عجب أن يعدها البعض عاصمة للسرد التراثي العربي.

تقول الصورة رقم 3: هذه التفجيرات هي امتداد لجولات



تصوير:النايفي في العراق



من مساجد المسلمين إلى كنائس المسيحيين، من معابد الصابئة إلى محرقة الهندوس في جنوب شرق البصرة.

لأنها ليست مدينة: البصرة قارة، سبع جغرافيات والحظ ضايع! تظهر جولات السيطرة المخيفة حينما يعلو الاحتجاج الشعبي ويسخر من أدهى الدعايات العقائدية العاطفية، حينما يرى أمراء الطوائف - بالراء التي تظهر كواو - بأن مواعظ الغلب المتدين والهبات والأعطيات لن تشكل فارقاً في السخط المدني العام، تظهر.. حينما تعبهم الحيل، حينما «في أعالي نصب الحرية تسقط أمانيهم»، مع الاعتذار من الخلال جلعاش!

لذلك يظهر الأمر بالمعروف لمراعاة الظروف، والنهي عن المنكر ليسوء الحال أكثر..

نص ورسم مرتضى كزار

## بريد مؤجل لأمي

على النجد القريب من دارنا. كان هناك بيت مهجور. أحدهم قبل سنين طويلة تزوج وأنجب ولدين، وعمر ذاك البيت لينتقل من بيت أمه إليه ويحيا حياة الزوجية. ثم في ليلة غريبة، تقياً كثيراً ومات، وترك الولدين وأمه أيضاً، ولم يكتمل البيت. ظل بدون سقف وبدون أبواب ونوافذ. مُت الشجيرات بداخله، وبقي قابلاً في ذلك النجد يشرف على قريتين وواديين مختلفين، يتجمع أمامه مراهقو القرى، وتستريح بجانبه النساء حاملات الحطب والحشايش ومؤونة البيت اللاتي يجلبنهن من الدكان في الوادي المقابل للبيت. ثم تحول أخيراً إلى صف لحو الأمية.

في نهاية العام 2014، وقع الحدث الأهم بالنسبة لنساء قريتنا. فقد قرّرت إحدى الفتيات المتخرجات من المدرسة الابتدائية أو ربما الإعدادية، أن تتطوع لتكون أستاذة لحو الأمية في القرية، وبمساعدة من هنا وهناك استطاعت الحصول على المنهج. واتفقت النساء على الموقع، وقالت الفتاة أنها ستعلمهن حصتين في الأسبوع. يتجمعن في العصرية، بعد أن يكمن إطلاع أطفالهن وماشيتن، وبعد أن يلبين طلبات أزواجهن، ويتأكدن من تقسيم عمل البيت على الفتيات والأولاد، فنك تجلب الماء وذلك يرعى المشاية وتلك تعجن لخبز العشاء، وبعد أن يكن قد اغتسلن من عمل اليوم.. ومن المؤكد أنهن جميعاً يضعن الكحل وأغلبهن يطلبن «الهرد» على وجوههن، ويرتدين جلبابتهن النظيفة، ثم يبدون إلى الأعلى، إلى النجد، حاملات الدفاتر التي كتب عليها أبنائهن بخط كبير ومنسق أسماءهن، وتبدأ معهن الأستاذة الصغيرة حرفاً حرفاً وكلمة كلمة، وتشجعهن على حفظ القرآن؛ ويكون القرآن والصلوة الصحيحة من أسس أهدافهن لتعلم محو الأمية. قد يكون الهدف الأول (حسبما يقلن)، لكنني أعتقد أن الأولوية صارت لحفظ أرقام هواتف أبنائهن المبعثرين في المدن. فلكم سمعتن يتمنين لو كن يستلمن الاتصال بفردهن دون استجداء الأولاد الصغار.

أسأل أمي: ها، كيف الدراسة؟ تضحك: خلاص يا بنتي كبرنا، تدخل الكلمة من هنا وتخرج من هنا. ومع أنني أكلهما عبر الهاتف ولا أرى إشاراتنا، لكنني أعرف أنها تشير إلى أذنيها. لكنها لا تقول الحقيقة. هي فقط تتواضع، فهن جميعاً مكافحات،

صورتا، فلاحات حقيقيات إن أقدمن على شيء فلا بد أن ينجزنه. كان الندم حينها ينهش قلبي، وكان إحساسي بالعار عميقاً وجللاً: كيف لي أن أواجه أمي وذاتي الآن بعد مضي كل هذه السنين التي تمنيت فيها لو أن أمي تقرأ ولم تخطر على بالي فكرة أن أعلمها بنفسها؟ ما زلت أندم حتى اللحظة، لكنني أعد نفسي بأني قد أستردك هذا يوماً ما. أيامها اكتفيت فقط بأن أشجعها، وأخبرها بأني سأبعت لها بعد شهر واحد رسالة على الموبايل لتقرأها. تضحك أمي من جديد وتقول لي: على الله يا بنتي.

كانت أمي تكافح وتنافس جاراتنا الفلاحات. لدى جاراتنا فتيات صغيرات يذهبن للمدرسة، يساعدها في عمل البيت ويساعدها في التعلم، بينما أمي لديها ذكور من حواليا، متجولين أو مسافرين، والفتاة الوحيدة مشغولة بأعمال ما في المدينة. لكن إختوتي الأصغر عادوا إلى القرية وساهموا في تشجيعها وتعليمها. كانت تتشاجر معهم وتتشاجر مع أبي ولا تحتمل نزقه وطريقته في التدريس، أخبرتني أن جارتنا الصغيرة عرفاً تأتي أحياناً إليها لتستمع إلى ما حفظته من القرآن، وتصحح لها ما أخطأت به. كانت تضي بصعوبة، لكنها كانت تضي، وأنا سعيدة غاية السعادة، ساضية من سعادتني طريقها، ومستعدة لأن أهب في سبيل تعليمها القراءة والكتابة عيلاً ويدا. كان حليماً أن تقرأ لي أمي مقالاً منشوراً في صحيفة وترى بجانبه صورتي، من فئة الأعلام البعيدة وشبه المستحيلة. لكنه فجأة بدا ممكناً. وأمي المنشغلة دائماً وجدت وقتاً لمطوح شخصي بحث لا علاقة له بنا أو بماشيتنا أو بالأرض.

حين اندلعت الحرب وعلقت في المغرب، كان لدي من الأحاديث والألم ما لا يمكن التحدث به، لا يمكنك أن تقول أي شيء عبر الهاتف، ولا يمكنك أن تبكي أو تصوغ ردات ففلك. لذا تصيح الكتابة هي الخيار الأسهل. فجأة اندلعت الحرب، وفجأة صرت مشردة، وفجأة تسرب مني الكلام فحسرت الأصدقاء، وفجأة استبدلت كل حديث بكاء يومي.. وكل هذا يمكنك فقط أن تكتبه، لكن ماذا إن كان الشخص الذي يجب أن يقرأ كل هذا لا يمكنه القراءة؟ أمي تظلم أمي، أينما كنت وكيفما كنت، تعتقد أن أمك يمكن أن تحميك من كل سوء وأن تحمل عنك كل ألم، تماماً مثلما كنا صغاراً إن جرحنا نبيك ونهتف: أماه! وفي المغرب لم أكن أريدها أن تحمل لي، كنت فقط أريدها أن

تعرفه، فسألتهما برجاء مَر إن كانت ما تزال تدرسن، فنفت هذا قائلة أن كل شيء توقف: الدراسة وسيارة القرية التي تحمل كل المؤونة للدكان الوحيد، وحتى شبكة الهاتف وهي تحدثني من على قمة الجبل، شارحة لي هي وإختوتي بأن لا مكاناً آخر تصله شبكة الهاتف غير ذلك المكان، فطائرات التحالف قصفت أبراج الاتصالات.

كتبت إليها كثيراً. كنت أكتب إليها رسائل طويلة جداً، أشرح فيها كل شيء بطريقة غير مرتبة، ورسائل قصيرة أحتفظ فيها بملاحظات الهاتف، رسائل أخرى أبكي فيها، رسائل أعتر فيها، رسائل أعدها بأني سوف أعود، رسائل أتمنى فيها لو تقرأ كل ما سبق. بقيت تلك الرسائل في أماكنها لم يقرأها أحد ولا حتى أنا، وأمي لم تكن تهتم بكل هذا: لا بأني أريدها أن تقرأ ولا بمدفوعات الحوئين التي تدك القرى المجاورة، ولا بطائرات التحالف، ولا بشبح الجماعة. كانت تصعد إلى قمة الجبل كي تلتقط شبكة الهاتف وتحدثني بينما يصلها صوتي متأخراً، وفي كل محادثة كانت تؤكد علي: عودي إلى القرية! إن هراء الكتابة هذا شيء، أنا فقط أتهرب من خلاله، لكن أمي لا تحتاج لأن تقرأ كي تعرفني وتعبير لي عن كل شي بجملة واحدة: «عودي إلى القرية». فهي بهذا تختصر كل شيء: الحرب والأمن، الحب والفق، الوصل والبعد.

ما زلت أحسد أولئك الذين تقرأ أمهاتهم، أحياناً أحسدهم بشدة، وأتمنى أن أخبرهم كم هم محظوظون، وأن أطلب منهم أن يكتبوا أمهاتهم.. كثيراً، وأحياناً أخرى أجدني متصالحة: صحيح أن أمي ستقرأ ما أكتب، لكنها أيضاً ستعرف أكثر عن هذا العالم البشع، وروح أمي أنقى حتى من أن تعرف وأرهف بكثير من أن تحتمل، وأمي لا تحتاج لأن تقرأ كي تفخر بي وكى تعرفني وكى تحس بي، لكنني سأخبرها هنا أن الحرب ستنتهي يوماً، وسأعود أيضاً وستتعلم معاً.. هي أن تجد مرة أخرى وقتاً لمطوحها الشخصي وأنا بأن أقتسم معها طموحي الشخصي بحيث ستقرأ هذا، بينما ابتمس وأنا بجانبها.

ريم مجاهد  
كاتبة من اليمن

رشا عدنان / سوريا

حلم..



arabi.assafir.com

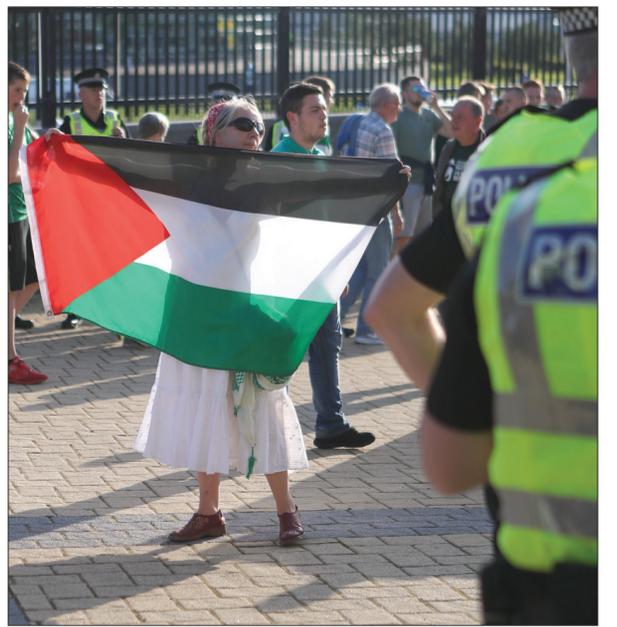
الزيد على موقع «السفير العربي»  
- نعم: أيضاً وأيضاً مؤتمراً عن اقتصاد فلسطين - رجا الخالدي  
- صباح الخير ناجي العلي - امتياز دياب  
- ليالي «الزمن» في قينا - سعيد سلطان الهاشمي  
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi  
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

## الجمهورية الاسكتلندي: «فلسطين حرة»!



(رويترز)



(رويترز)

بحماس كبير، تجاهل مشجعو فريق «سليتيك» الإسكتلندي تحذيرات الاتحاد الأوروبي لكرة القدم بشأن ضرورة عدم رفع أي شعارات أو لافتات سياسية، وقاموا برفع الأعلام الفلسطينية وجملة Free Palestine خلال مباراة فريقهم أمام فريق هيوغيل الإسرائيلي يوم الأربعاء 17 آب / أغسطس 2016، ضمن مباريات الدور التمهيدي بدوري أبطال أوروبا. المباراة انتهت بفوز الفريق الإسكتلندي صاحب الأرض بخمسة أهداف مقابل اثنين. ليست هذه المرة الأولى التي يظهر فيها الجمهور الإسكتلندي تضامنه مع القضية الفلسطينية، وقد اضطر من قبل لدفع غرامة مالية بلغت نحو 16 ألف جنيه استرليني عام 2014 للسبب نفسه.

## تكميم الأفواه في العراق

يواجه الصحافي العراقي المعروف بمشاركته في أشهر تحقيق استقصائي في العالم (أوراق بنما) منتظر ناصر، ضغوطات غير مسبوقه من شأنها أن تهدد حرية التعبير وأن تكتم الأفواه الحرة، بسبب تقرير نشره في صحيفة «العالم الجديد» الإلكترونية، أشار فيه الى وجود «فساد في هيئة الإعلام والاتصالات» بالعراق، كاشفاً عن «علاقات رئيس العينة المشبوهة بشركات الهاتف النقال والتلاعب بترددات الفضائيات والإذاعات».

ناصر، الذي تم طرده من عمله بشبكة الإعلام العراقي، وتهديد به «الفصل» العشائري، وبحجب الموقع الإلكتروني لصحيفة «العالم الجديد» من قبل رئيس الهيئة صفاء الدين ربيع التابع لحزب الدعوة، والذي يصير على إرادته في الحكمة وفق قانون قديم سنه حزب البعث في عام 1969 ولا يزال ساري المفعول، سيمثل للمرافعة العلنية يوم الاثنين المقبل، يُذكر أن الصحافي منتظر ناصر فقد ثلاثة من أسرته بعد إعدامهم على يد النظام السابق بسبب انتماهم إلى حزب الدعوة، فضلاً عن سجن والده وتشرده هو وعائلته خارج البلاد طوال سنوات من حكم صدام، قبل أن يقرر العودة العام 2003.

من صفحة Ali Alsumery (عن فايسبوك)

## ما كتبتة ماهينور المصري

## بعد خروجها من السجن

سنة وثلاثة شهور.. عدواً بسرعة مش علشان السجن تجربة سهلة، بس علشان الواحد محظوظ إنه كان محاط بأعظم عائلة وصحاب ورفاق.. السجن أكثر مكان يقدر يقولنا أننا في المكان الظلم اللي الواحد شافه جواً السجن للجنايين والسياسيين يخلينا نعرف أننا في الأغلب في المكان الأصح.. الدولة المسعورة اللي بتاكل ولاها علشان مصلحة السلطة عمرها ما تقدر تكمل وتقف.. في سنة و3 شهور عدد المقبوض عليهم زاد، بنشحت على قرض صندوق النقد الدولي اللي حيلينا نشحنت.. أسعار بتغلي، جزيرتين فجأة صحينا لقبناهم بيقولولنا مش بتاعتكم وكاننا ضيوف في البلد، مش لازم نعرف بمفاجآت السلطة.. دولار سعره بقي مش مفهوم ودولة بقت أهش من أي وقت بس سانة أسنانها علينا وبتحاول تخوفنا أو تخلينا نفقد الأمل.. بس احنا مش حناخف ومش حننقد الأمل.. علشان لسه في ناس تستاهل حياتهم تبقى أحسن، وفي ثمن ناس دفعته ولزم يتسدد. في ناس كتير عايزة أكتب الحرية ليهم بلاسم (...). آلاف يستاهلوا الحرية وحيوصلولها لو احنا صدقنا في قدراتنا وراجعنا غلطتنا وقررنا إننا مش حننهرم.

من صفحة ماهينور المصري (عن فايسبوك)

## مدونات

## شوكان يشكو ظروف

## السجن غير الأدمية

ظهر المصور الصحافي محمود أبو زيد (شوكان) في جلسة محاكمته الأخيرة يوم 9 آب / أغسطس، مُتهك القوى، يبدو عليه الإرهاق والإجهاد، لا سيما في ظل ما يعانيه داخل زنازنته بسجن طرة من أوضاع غير آدمية.. ومن داخل القفص الزجاجي، اشتكى شوكان، خلال حديثه لمحامي مرصد «صحفيون ضد التعذيب» علي الحلواني، من تزايد عدد النزلاء معه بالزنازنة، الذي وصل حد التكديس الأمر الذي يزيد من الحر الشديد، خاصة مع عدم وجود مراوح كافية في السجن، إضافة إلى الروائح الكريهة التي تنبعث من حمامات الزنازنة، بسبب عدم تنظيفها. وألقت قوات الأمن القبض على «شوكان» أثناء تصويره وتوثيقه عملية فض اعتصام رابعة العدوية منذ 3 سنوات، في آب / أغسطس 2013، ليحس بعدها احتياطياً بتهمة الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين والاشترك في اعتصام مسلح.

من موقع «صحفيون ضد التعذيب»